التذكار المئوي للجمعيَّة الاسيوية الفرنسوية

نظر تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعيّ

للدين روابط وثيقة ربَّما بقيت على متانتها اجيالًا متعدّدة لا يقوى الزمان على حلّها . وليست اواصر الآداب المدنيَّة مثلها صبرًا على كوارث الدهر فقلَّما تجد جماعة علميَّة لا ينتقض الزمان حبلها ويدكّ اركانها بعد سنين لِما يغلب على اصحابها من النزعات وتباين الآراء . وهذا في الشرق اظهر واعمّ اما الغربيُّون فانهم اثبت على مواصلة اعمالهم في خدمة المساعي النبيلة والمقاصد الشريفة . ولو استقرينا بلاد اوربَّة لرأينا عدَّة شركات علميَّة او ادبيَّة او فنيَّة عاشت السنين الطويلة لم تعرف الهرم وليس ببادر ان نجد بينها ما بلغ المئة السنة

فمن هذه الجماعات التي تستوقف الابصار بازدهار شبابها مع طول عمرها جمعيَّة ادبيَّة فرنسويَّة بلغت في هذا العام السنة المئة الاولى لانشائها تُدعى بالجمعيَّة الاسيوية الباريسيَّة قطعت هذا الشوط من حياتها دون ان يهدّ الزمان بنيتها او يضعضع قواها

ومن ثمَّ اجمع رئيسها المفضال المسيو اميل سِنار (M. Emile Senart) مع عمدة مديريها على ان يحتفلوا بهذا التذكار احتفالًا باهرًا دعوا اليه العلماء وحبّي الآداب وقد تلطَّفوا وارسلوا الى كلّيتنا دعوة خاصَّة لحضور ما ينوون عقدهُ من المواسم الشائقة

وللشرق خصوصاً في هذه المظاهرات واجباتٌ وفرائض لا ندحة له من أدائها لتلك الجمعيَّة التي أفرغت قواها لخدمته مدَّة مئة سنة اذ لم يقصد اصحابها الَّا كشف مفاخر بلادنا واستخراج كنوزها الخفيَّة واعلاء منارها فنوَّهوا بفضلها وعظَّمتها في اعين ذويها بل في اعين اصحابه الذين كادوا يجهلون امجادهُ . وهذا ما حدا بنا ان نفرد هذه الاسطر لذكر تلك الجمعيَّة لنشكر لها معروفها نحو اقطارنا ونأتي بمثلها الحيّ

اوائل الجمعيَّة الاسيويَّة

دخل القرن التاسع عشر وكانَ اوربَّة عموماً وفرنسة خصوصاً بعد الثورة العظمى وحروب الجمهوريَّة أُنست بحياة جديدة وانفتحت امامها عوالم مجهولة كانت سابقاً في عُرفها كألغاز واسرار مكنونة . فلمَّا ذهب نابوليون الى مصر شكَّل لجنةً من العلماء

البحث عن علوم الشرق القديمة وآثاره المنسيَّة فعادوا الى الوطن والسنتهم تتطرَّ بالمديح على عجائب الشرق يتوقون الى نشر ما وقفوا عليه منها

وكانت الهند منذ استيلاء الانكليز عليها اخرجت من خبايا هياكلها ومطامير سدَنتها عدداً لا يُحصى من الآثار السنسكريتيَّة التي لم تُحلَّ رموزها

وكذلك الصين الغنيَّة بالآثار التاريخيَّة والادبيَّة كان المرسلون اليسوعيُّون قبل الغاء رهبانيَّتهم سنة ١٧٧٣ ارسلوا منها الى باريس اضابير عديدة كانت تنتظر مَن يفكُّ طلاسمها

وما قولنا بالآثار العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة فانَّ معظمها كان مكدَّساً في المكاتب الاوربيَّة لم يُستَخرَج منهُ غير شذور قليلة ونُتَف معدودة

والحقّ يقال انَّ الكنيسة الرومانيَّة سبقت الجميع في سدّ هذا الخلَل وخصوصاً بساعي الحبرين الاعظمين غريغوريوس الثالث عشر وبولس الخامس وبمساعدة تلامذة المدرسة المارونيَّة في رومية وتلامذة مدرسة مجمع انتشار الايمان التي تقدَّم ذكرها في العدد السابق فنشرت عدداً كبيراً من التآليف الجليلة التي أقبل عليها العلماء اقبال الجياع على القصاع والعطاش على ينابيع المياه لوفرة موادّها وحسن طبعها

ومثلها فرنسة جارت رومية وهولندة في نشر كثير من مكنونات الشرق منذ عهد لويس الثالث عشر حيث طُبعت سنة ١٦٤٥ توراة لوجاي بلغات مختلفة (Bible Polyglotte de Lejay) وفي أيَّام لويس الرابع عشر ولاسيَّما في القسم الثاني من القرن الثامن عشر حيث تعدَّدت المطبوعات في العربيَّة والسريانيَّة والعبرانيَّة. وفي السنة ١٧٨٧ تألَّفت جمعيَّة من علماء فرنسة لنشر مخطوطات مكتبة باريس افتتحها رئيس الجمعيَّة دي غيني (M. de Guignes) بنشر وترجمة قسم كبير من مروج الذهب للمسعودي. ونشرتهم هذه لا تزال في قيد الوجود الى عهدنا ظهر منها الى يومنا اربعون مجلَّداً ضخماً للشرقيَّات فيها السهمُ الافوز بفضل علماء مبرّزين كدي غيني المذكور ولنغلاى (L. Langlès) ودي برسفال (C. de Perceval) وانكتيل دوپرون (Anquetil-Duperron) وعلى الاخصّ البارون سلفستر دي ساسي (S. de Sacy)

ومما ساعد على هذه النهضة في فرنسة المدرسة التي أُنشئت في باريس سنة ١٧٩٥ لتدريس اللغات الشرقيَّة الحيَّة اعني العربيَّة والفارسيَّة والتركيَّة والارمنيَّة وقد دخلت

في هذا العام في السنة ١٢٧ من عمرها وفي بقائها مثال آخر على ثبات الفرنسويين في حفظ مشروعاتهم الادبيَّة وهي اليوم تحت ادارة الاستاذ المهام المسيو پول بويه .M) (P. Boyer ومن فضل هذه المدرسة ان اساتذتها نشروا على نفقتها نيفاً وثمانين تأليفاً من المخطوطات الشرقيَّة العزيزة الوجود في ١٢ لغة

لكن هذه المساعي مع ما اتت به من الخدم المشكورة لم تكن لتفي برغوب المستشرقين فقصدوا ان يضمُّوا قواهم لما في الاتحاد من القدرة على العمل ويؤلفوا جمعيَّة مستقلَّة يصرف اعضاؤها ما لديهم من الهمم لدرس تواريخ الشرق وآدابه وفنونه واديانه ونشر ما يجدونه منها في مجلَّة خاصَّة تظهر في اثني عشر كرَّاساً على عدد شهور السنة

البارون سلفستر دي ساسي منشئ الجمعيَّة الاسيويَّة
(١٧٥٨—١٨٣٨)

فما لبثوا ان قرَّروا ذلك في اجتماعات متوالية عقدوها في اثناء السنة ١٨٢١ وكان اكبر السعاة في الامر ذلك الجهبذ والنابغة الكبير البارون سلفستر دي ساسي الذي لم يدع من العلوم الشرقيَّة علماً الَّا نظر فيه فاستخرج لبابهُ وشاركهُ في العمل استاذ اللغات الهنديَّة لويس لنغلاي . فأدركا غايتهما . وتشكَّلت للحال شورى الجمعيَّة في عدد ٣٦ عضواً من دول مختلفة تحت حماية الدوق دي اورليان وهو الذي قلد بعد عشرين سنة فعُرف بالملك لويس فيليب . فاختارته الشورى كرئيس شرف وانتخبت كرئيسها العامل البارون سلفستر وعيَّنت نائبين عن الرئيس مع كاتب اسرار وامناء

صندوق وجعلت غرّة كانون الثاني من السنة ١٨٢٢ كموعد اجتماعها الرسمي وظهور مجلتها الاسيوية

وقد تمّ ذلك على حسب ما قرّرتهُ عمدة الجمعية فكانت المجلّة الاسيوية الفرنسوية اوّل نشرة من جنسها في اوربة وانما كان سبقها في باتافيا في الهند الهولندية سنة ١٧٨٠ وفي مدرس في الهند الانكليزية سنة ١٧٨٤ نشرتان من جنسها لكنّ مجلتهما كانت تتناول خصوصاً اللغات الملايزية والهندية . اما المجلّة الاسيوية الملكية الانكليزية فكان ظهورها سنةً بعد مجلّة باريس اعني سنة ١٨٢٣ فشتان منذ ذاك الحين كفرسي رهان في هذه الحلبة الشريفة لولا انّ مجلات النشرة الفرنسوية كانت اعمّ واوسع بينما كانت النشرة الانكليزية اخصّ بمستعمرات بريطانية العظمى

اعمال الجمعية الاسيوية

وقد نال كتبة المجلّة الفرنسوية من الشهرة ما لم يبلغهُ غيرهم فانّ اسماءهم الى اليوم شائعة بين كلّ المستشرقين ومنشوراتهم تشهد لهم بالتقدّم . فكان دي ساسي يمشي في مقدّمتهم كإمامهم يأنسون به ويسترشدون بانوارهِ . وكان الاجانب من المان كفريتاغ (Freytag) وفليشر (Fleischer) وفلوغل (Flügel) وايطاليين كبيرون (Peyron) وسويسريين كهمبرت (Humbert) واسبانيين كغاينغوس (Gayangos) ودنيركيين كتورنبرغ (Tornberg) يقدمون الى باريس ليحضروا دروسهُ في كليّة فرنسة فيتتلمذون لهُ

وممّن ساعد البارون دي ساسي في نشر المجلّة الاسيوية رجالٌ اختصاصيّون كهابيل ريوزا (Abel-Rémusat) المتضلّع بالآداب الصينية واللغة المنغولية وجوبار (Jaubert) احد القديرين بالفارسيّة والتركيّة وغرسين دي تاسي (Garcin de Tassy) من علماء اللغة الهندستانيّة وسان مارتان (S^t Martin) المتقن للغة الارمنية وبورنوف (Burnouf) الضليع بالسنسكريتيّة ولغات الهند القديمة وكلابروت (Klaproth) نسيج وحده باللغات التتريّة والكرجيّة وشمپوليون الصغير (Champollion le Jeune) نابغة العلوم المصريّة ومن غريب الاتفاق ان شمپليون حلّ رموز الكتابة الهيروغليفية في تلك السنة الاولى لظهور المجلّة الاسيويّة فارادت

الجمعيَّة الاسيويَّة ان تجعل هذا الموسم المئوي كتذكار خاص باحد اعضائها وتعظيم ذاك الاكتشاف العجيب الذي فتح للعلم عالماً مجهولاً

وكان للغتنا العربيَّة مقامها الرفيع في منشورات المجلَّة الاسيويَّة امتاز من علمائها كوسين دي پرسفال صاحب اوَّل تاريخ لعرب الجاهليَّة في ثلثة اجزاء ضخمة . ومنهم جوزف رينو (J. Reinaud) الذي نقل الى الفرنسويَّة كتاب تقويم البلدان لابي الفداء واخبار الصليبيين عن مؤرخي العرب وغير ذلك . واشهر منهُ اتيسان كاترمار (E. Quatremère) الذي بلغ في معرفة اللغات الشرقيَّة مبلغاً كاد يشبه فيها استاذهُ دي ساسي ولهُ من التآليف المتعدّدة ما يُقضَى منهُ العجب لكثرة فوائدهِ

فكلّ هؤلاء وكثيرون غيرهم الذين ترجمناهم بالاختصار في تاريخنا للآداب العربيَّة في القرن التاسع عشر شحنوا المجلَّة الاسيويَّة بالمقالات الفريدة والمنشورات المثمنة في سائر ابواب المعارف من لغة وتاريخ وفلسفة وفقه وأدب فأشير اليهم بالبنان واضحى لفرنسة بسببهم سمعة طيّبة في كلّ انحاء المعمور

وكان يودّنا ان نلخّص شيئاً مما اذاعهُ هؤلاء المستشرقون في المجلَّة الاسيويَّة ليقف قرَّاؤنا على ما ادَّوهُ من الخدمات الجلّى للعلوم الشرقيَّة ولكن كيف يمكن اختصار ما تحتويهِ المئتان من المجلَّدات التي تتألف منها تلك المجلَّة في كلّ سنة مجلَّدان ينيفان على الف صفحة فيكون مجموع المئة سنة مئة الف صفحة بنيّف فتقوم مقام اكبر الدوائر العلميَّة بل تنوب عن مكتبة واسعة

فترى هناك نصوصاً شائقة من كلّ لغات الشرق بحروفها الاصليَّة الجميلة التي رسمت الطبعة الملكيَّة ثمَّ الامبراطوريَّة ثمَّ الجمهوريَّة بصنع ليباتها وحفر امّياتها على احسن هيئة بينها الحروف الصينيَّة والصور الهيروغليفيَّة والمسامير الاشوريَّة والدوائر الكرجيَّة وجميع اصناف الحروف الساميَّة والمتدئيَّة التي تزين المجلَّة بأشكالها

أمَّا مضامين هذه النصوص فتتناول جميع المعارف البشريَّة من اسماها واجلّها كاللاهوت والفلسفة الى ادقّها وابذلها كالعادات والاخلاق . وممَّا امتازت بهِ المجلَّة الفصول التاريخيَّة والجغرافيَّة والادبيَّة والاثريَّة والرحل والسياحات مع نقلها الى الفرنسويَّة وتذييلها بالحواشي الضافية

ولو اقتصرنا فقط على ما تحتويهِ المجلَّة الاسيويَّة من الآثار العربيَّة لوجدنا فيها من

المقالات الممتعة ما ينشرح لها الصدر ويقرُّ بها النظر فكم نُشر فيها من المعلومات عن جزيرة العرب وسائر انحائها كاليمن والحجاز ونجد مع ذكر اخبارها وملوكها . وكم رووا من الدواوين الشعريَّة لاهل الجاهليَّة وغيرهم . وكم شرحوا من الكتابات الحجريَّة الحميريَّة والعربيَّة . وكم اثبتوا من المسائل الفقهيَّة الاسلاميَّة وعرضوها على مسِّ الانتقاد . وكم خاضوا في درس الاديان والملل والنحل كالدرزيَّة والنصيريَّة والاسماعيليَّة والوهابيَّة والبابيَّة وشيع الهند وافريقية . فلو قلَّبتَ مجموعة تلك المجلَّة لاستوقف نظرك كلَّ عدد من اعدادها وتمنَّيت ان تقضي الساعات في مطالعتها . فحيناً ترى فصولاً شائقة في الموسيقى العربيَّة وحيناً آخر في الفلكيَّات وفي الجبر والمقابلة . ينيدك الواحد عن ايام العرب وآدابهم الحربيَّة وامثالهم ويتوغَّل الآخر في درس لغتهم وعلاقاتها مع اللغات المجاورة لها . هذا ينقِّب في اسرار الطبيعة وكيميا العرب وذاك يدرس الابنية الاسلاميَّة . فلو نشرنا فقط عناوين الفصول العربيَّة التي ظهرت في المجلَّة الاسيويَّة لاستغرقت نيِّفاً ومئة صفحة . وقد كنَّا في ساعات الفراغ في ايام الحرب قد دوَّنَّا لافادتنا اسماء ما رأيناهُ حريًّا بالذكر لبلادنا وهو الآن تحت نظرنا فلا يقل عن ١١٠ صفحات

ولا عجب فانَّ الذين تتابعوا في رئاسة هذه الجمعيَّة من رئيسها الاوَّل البارون دي ساسي الى رئيسها الحالي المسيو جناب اميل سينار المنتظم في سلك الاكاديميَّة الفرنسويَّة لم يزالوا يفرغون كنانة الجهد في تحسين المجلَّة ونشر المقالات المنتخبة لاكبر العلماء المشرقيين فثبتت في طول هذه المدَّة على حسن خطَّتها وطبقتها الراقية . فان الذين خلفوا الجيل الاوَّل من ائمَّة العلماء المذكورين سابقاً اجتهدوا في تقفي آثار السلف . فكفانا بذكر البعض منهم ممَّن برزوا بمعرفة اللغة العربيَّة ونشر فوائدها فانَّ للمرحوم باربيه دي ميناز (Barbier de Meynard) مقالات مختلفة واصلها مدَّة اربعين سنة في تاريخ العرب وجغرافيَّة جزيرتهم وآدابهم ولغتهم . وللعلَّامة كليان موله (Cl.-Mullet) ابحاث دقيقة في مواليد الطبيعة عند العرب من حجارة كريمة ونبات . نشر البارون كارا دي ڤو (B^on Cara de Vaux) عدَّة آثار في العلوم الميكانيكيَّة وتحريك الاثقال والفلسفة عند العرب . تخصَّص المسيو لوكلار (Leclerc) بتاريخ الطب العربيّ . استخرج سيديليو (Sédillot) وڤوپوك (Woepecke)

كثيراً من مآثر العرب في الهيئة والرياضيات من دفائنها . نشر ديرنبورغ (H. Déren-bourg) في المجلّة الاسيويّة ديوان النابغة ومقالات عديدة في شعراء العرب وعلومهم اللغويّة ومثلهُ المسيو برشهِ (R. Boucher) ناشر ديوان الفرزدق . اتّسع دِفرمري (Defrémery) ومثلهُ المسيو باسّه (Basset) وكليمان هوار (Cl. Huart) في تعريف بعض الممالك الاسلاميّة الصغرى في العراق والعجم والهند والمغرب والاندلس . وصف المركيز دي سلان (G. de Slane) وزوتنبرغ عدداً من مخطوطات العرب . ووجّه المسيو درُوِن (Drouin) والمسيو سوفار (Sauvaire) نظرهما الى مسكوكات العرب ونقودهم وموازينهم واقيستهم . اجاد العلامة لونرمان (Fr. Lenormant) ورينان (E. Renan) وبرجه (Ph. Berger) وكلرمون غانو (Cl.- Ganneau) ودي قوغوي (M. de Vogüé) ودي سوسي (de Saulcy) ودوسو (R. Dus-saud) ودي مورغان (de Morgan) في شرح كتابات حجريّة وآثار قديمة للعرب في اليمن والشام . وهناك منشورات عديدة اخرى لاعضاء الجمعيّة الاجانب كهامّر پرغشتال (Hammer - Purgstall) وفون كريمر (Von Kremer) ودي غوي (de Goeje) وڤان برخم (Van Berchem) وغويدي (Ign. Guidi) وحضرة الاب لامنس والمسيو كاتناغو من صيدا .

ومما يقرّب فوائد المجلّة الاسيويّة الفهارس الواسعة التي يضيفونها كلّ عشر سنين لجميع الموادّ التي يحتويها العشرون المجلّد التي طبعت في تلك المدّة . ويبلغ كل فهرس نحو مئتي صفحة

وللجمعيّة الاسيويّة فضل آخر لا يجوز ان نسكت عنهُ نزيد بهِ ما نشرتهُ من التآليف المفيدة على نفقتها خارجاً عن المجلّة مثل رحلة ابن بطوطة مع ترجمتها الفرنسويّة للمسيو دِفرمري في اربعة مجلّدات . ومروج الذهب للمسعودي مع ترجمتها ايضاً للمسيو بربيه دي مينار في تسعة مجلّدات . وترجمة كتابهِ التنبيه والاشراف للمسيو كارا دي ڤو وغير ذلك من التآليف المعتبرة

فمن هذا النظر الاجمالي الذي كنّا نودّ الاتساع فيهِ وتعريف كثيرين ممن ضربنا عن ذكرهم اختصاراً يستطيع القرّاء ان يعرفوا ما للجمعيّة الاسيويّة الفرنسويّة من الفضل على العلوم الشرقيّة عموماً وعلى بلادنا الشامية خصوصاً . فلولا اعضاؤها وكتبها

لبقيت آثار وطننا مجهولةً مطوية في زوايا المكاتب او مفقودة بغباوة العامّة . فلا يسعنا في ختام هذه النبذة الموجزة الّا ان نقدّم واجبات التهانئ لكافّة اعضاء الجمعيّة الاسيويّة ملتمسين من مراحم ربّ العالم ان يمدّ في أجلها ويزيدها رقياً ونجاحاً . فانّهُ السميع المجيب ان شاء الله

درس الانجيل وفوائده

أثر مفقود للمطران جرمانوس آدم

توطئة

كان بلغ السيد الذكر البابا بندكتوس الخامس عشر انّ نيافة قاصدنا الرسولي السيّد فريدريانو جنّيني الجزيل الشرف عوّل على طبع الاناجيل الطاهرة مع اعمال الرسل ليسهّل على المؤمنين من السوريين مطالعتها والحصول عليها بثمن زهيد فسُرّ قداستهُ بذلك وشكر مساهُ ورغبتهِ في زيادة انتشار سيرة السيّد المسيح واعمالهِ واقوالهِ في اصقاع هاتين الطوائف الشرقيّة امدّهُ بمساعدة حقّقت آمالهُ

وها قد انتهت هذه الطبعة الجديدة فبرزت على شكل انيق بقطع صغير وتجليد حسن يروق النظر . وفي اوّلها مقدّمة مستجادة تبيّن ما نالته الاناجيل المقدّسة من عظم الشأن منذ اوائل النصرانيّة وما احرزتهُ خصوصاً من النصر المبين على الاعتراضات التي كان الملحدون في القرن الماضي ركموها لينفوا صحّة هذه الاسفار المقدّسة واصلها الالهي فاقرّ العلماء المحدثون حتى المعادون منهم الكنيسة بصحّتها الاصليّة في نظر التاريخ والانتقاد العلميّ معترفين جهارًا بانّ تعاليم الكنيسة الرومانيّة في وقتنا الحاضر تنطبق على مضامين تلك الاسفار اتمّ الانطباق

وكانت بطبعتنا الكاثوليكيّة طبعت سابقاً هذه الاناجيل وفي ذيلها بعض الشروح . الّا انّ نيافة السيّد القاصد احبّ ان تُلحق هذه الطبعة الجديدة بملحوظات اوسع وأتمّ فلبّى دعوتهُ احد المرسلين الكرام

وبينا كنّا نسرّح الابصار في هذه الطبعة وفوائدها اذ وقع في يدنا كتاب مخطوط كان عند بعض الاهلين من جونية يحتوي على الاناجيل المقدّسة المرويّة مندمجةً برواية واحدة من الاربعة المبشّرين على شكل كتاب الدياطسّارون الذي كان تاطيانوس تلميذ القديس يوستينوس